الغيب والإعجاز البلاغي

الطالب الباحث: عقاب بن زيان　　　　إشراف الأستاذ الدكتور: محمد زعراط

جامعة وهران1ـ الجزائر　　　　جامعة وهران1ـ الجزائر

لقد حظي القرآن الكريم على مر العصور باهتمام خاص، إذ تناوله الباحثون. وفي مقدمة هؤلاء، نجد المفسرين الذين كانوا يهتمون بالدرجة الأولى باستخراج الأحكام الشرعية وأدلتها التي جاء بها النص الديني، كما اهتم به اللغويون وذلك لفهم دلالة الألفاظ وتراكيبها، باعتباره من أرقى النصوص اللغوية، التي تمثل قيمة البلاغة والبيان، وقد تحدى بها القرآن فصحاء العرب منذ أربعة عشر قرنا. والنص القرآني هو خطاب حامل لرسالة سماوية بلسان عربي مبين، حيث أن ألفاظه مستعملة في معانيها اللغوية، وجارية على قوانين الوضع والاستعمال والدلالة، ومن خصائصه أنه نظام لغوي يقوم على غير مثال، نجد فيه التجانس الصوتي، وقوة الإيقاع، وحركية المجاز، ولكنه رغم ذلك يمتاز عن الشعر والنثر، الذي ساد عند الخطباء والكهان

الكلمات المفتاحية: الغيب؛ التفسير؛ اللغة؛ القرآن؛ النص؛ المجاز؛ البيان؛ الإيقاع.

Unseen and Miraculous Rhetorical

Abstract: The Qu’ranic text is the discourse bearer of the divine/heavenly message in a clear Arabic language, as his words are used in their linguistic meanings, and are in force on the laws of the situation and the use and significance, as its words are used in their linguistic meanings, and are ongoing on the laws of status, use and significance, and from its characteristics that it is a linguistic system based on non-example, we find in it the voice homogeneity, and the rhythm force, and the kinetic metaphor, but it is nevertheless distinguished from poetry and prose, which prevailed among the preachers and priests. Throughout the ages, the Qur'an has received special attention. It was dealt with by researchers, in the forefront of these, we find the interpreters who were primarily concerned with the extraction of the Shariah (Islamic Law) and its evidence, which the religious text came with, as well as linguists to understand the meaning of the words and their structures, as one of the finest linguistic texts, which represent the rhetoric and statement value, with which Qu’ran has challenged eloquent Arabs fourteenth centuries ago.

Keywords: Unseen, interpretation, language, Qu’ran, text, metaphor, statement, rhythm

---

تاريخ تسليم البحث: 14 جوان 2017.

تاريخ قبول البحث: 04 مارس 2018.

لقد أدرك العلماء كل تلك الخواص التي يمتاز بها الخطاب القرآني، فاستظهروها وحددوا في ضوئها أنواع المتلقي للخطاب القرآني ومستوياته.

ويعتبر النص القرآني نصا مفتوحا، متكثر الدلالة، وهو بحاجة إلى استكشاف حقائقه وكشف أسراره، ومن ذلك المعنى الغيبي الذي يتضمنه ذلك الخطاب، وتناولته تلك العملية التفسيرية منذ بدايات التنزيل.

إن دراسة القرآن الكريم في بُعده الدلالي والتشريعي من الأهمية بمكان، ولكن ثمة مفردات لم يلتفت إليها كثير من المفسرين وأهل التأويل، وعلى رأسها مفهوم الغيب في القرآن الكريم، فالبُعد الغيبي يشكل معطى أساسيا في تحديد معالم العقيدة الإسلامية، فما هي علاقة الغيب بالعقائد في القرآن الكريم؟ وما هي علاقة الغيب بالإيمان؟ وعلاقته بالعقل؟ وعلاقة الغيب بالجانب الإنساني؟.

ورد في الْقُرْآنَ الكريم الحديث عن ظاهرة الغيب في مواطن كثيرة بحيث يكتسي هذا المفهوم في كل مرة من الدّلالات الضافية ما يناسب المقام ويفي بالمقال، وهذا ماله علاقة بأسباب النزول وغالبا ما تتجه دلالات الغيب في الْقُرْآنَ الكريم إلى ما هو آت في المستقبل كالإخبار عن الجنة والنار وعن النعيم والشقاء ومصير المؤمنين والكافرين، وفي سائر الأحوال ولا يخلو مفهوم الغيب من التعبير عما يغيب عن الحواس أو ما لا يمكن أن يتبادر إلى الأذهان والعقول لذلك قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)[1]

أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه. والغيب في قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب)[2] أي ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد[3].

يفهم من الآية الأولى وهي قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ...) أنها إقرار في حق الله تعالى بالقدرة النافذة التي تحيط علما سائر الموجودات في الزمان منذ الأزل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مما هو ممكن الإدراك وما هو غير ممكن، كل ذلك يعلمه الله تعالى علما يقينيا ويدبره كيف شاء وفق حكمة بالغة تجاوزت إدراك المخلوقات واستأثر الله بها، والسياق القرآني الذي وردت فيه الآية هو الوعد والوعيد والتخويف والتحذير، وهذا ما يفهم من قوله تعالى قبل هذه الآية وهو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[4]

فهذه دعوة إلى التقوى ومحاسبة النفس ومراقبة الأعمال وإشعار المؤمنين أن الله خبير بما يعملون، وبما يختلج في نفوسهم، وفي السياق نفسه تحذير لهم مما أصاب الكفار والفاسقين (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[5]

ونسيان النفس هو إيرادها موارد الهلاك وإفساح المجال لها لتأتي من الأعمال ما ترغب فيه نزولا عند الرغبات الجامحة والنزوات الضالَّة، وبعدما أمر المؤمنين بتقوى الله حذرهم مما يحيق بالكافرين والفاسقين من عقاب، وما ينتظر المؤمنين من جزاء (لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)[6] ثم جاءت الآية التي نحن بصددها دالة على وحدانية الله وعلى قدرته وهيمنته على سائر مخلوقاته ما نشاهده منها وما لا نشاهده، ما هو واقع في دائرة حسّنا وعلمنا وما هو خارج هذا النطاق، وتلاه قوله تعالى: (هو الرحمن الرحيم)[7] وقيل فيهما أنهما صفتان من صفات الله، لا يوصف بهما غيره، وجاءتا على صيغتي (فعلان وفعيل) وكلاهما للدلالة على المبالغة في الرحمة وتقدمهما ذكر الضمير المنفصل (هو) للدلالة على الحصر وتقوية المعنى واختصاصه تعالى بهاتين الصفتين (الرحمن الرحيم): كما أن إنهاء الآية بهذه الفاصلة (الرحمن الرحيم) جاء للتوكيد على أن باب الرحمة والمغفرة مفتوح لمن تاب وأناب، وجد الله رحمانا رحيما.

ومما يثير الانتباه ويدعو العقل إلى التفكر في قدرة الله تبارك وتعالى فيزيده إيمانا، أن سورة الحشر ابتدأت بقوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[8] وختمت بقوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[9] وذلك ليناسب حسن البدء حسن الختام، ومن مضامين هذه السورة أنها أخبرت عن غلبة المؤمنين اليهود وإخراجهم من ديارهم بالمدينة المنورة، وهو الحشر الأول ثم الحشر الثاني وهو إجلاؤهم إلى خيبر في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[10].

حيث ابتدأت السورة بتنزيه الله تعالى بقوله جل وعلا: (سبّح) وفي ذلك إشارة إلى أنه عالم غيب السموات والأرض ومدبر للكون كيف ما شاء، وما اقتضته حكمته تعالى، وقد جاء قوله تعالى (العزيز الحكيم)[11] على وزن (فعيل) الذي يفيد في اللغة المبالغة والاختصاص، حيث أنه تعالى هو الحكيم الذي لا يوصف غيره بهذا اللفظ وكذلك العزيز لكونه من العزة وهي من المَنَعة والقوة التي لا تضاهى ولا تقهر، ومن معاني الحكمة الرَوِيَة وتدبير الأمور على وجه ملائم والإصابة في تسيرها، فقدرة الله تعالى وفق هذا الاعتبار سارية على مخلوقاته من غير حيف ولا ظلم، فإجلاء اليهود عن المدينة المنورة كان بأمر من الله تعالى لذلك قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ..)[12] وما المؤمنون إلاّ وسيلة لهذا الإخراج، وكذلك أخبر بجلائهم الذي لم يتم أثناء نزول السورة، وإنما كان على يد عمر بن

الخطاب رضي الله عنه، وختمت السورة (بالعزيز الحكيم) مثلما بدئت لتنبئ أن ما ورد فيها كان بأمر وحكمة من الله تعالى ولا اجتهاد فيه للمسلمين.

أما الثانية وهي قوله تعالى: (يؤمنون بالغيب) فقد وردت في سياق قرآني يدعو إلى الإيمان بالقرآن الكريم وبما تضمنه من شرائع في قوله جل وعلا: (ألم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[13] وللعلماء في الوقف على هذه الآية أوجه أهمها ما ذكره الزمخشري [14] (ولابد للواقف أن ينوي خبرا، ونظيره قوله تعالى (قالوا لا ضير) وقول العرب لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه،)[15] ومما جاء في تفسير حروف التهجي التي استهلت بها بعض السور مثل البقرة (ألم) أنها للإعجاز أي أن هذا القرآن المنطوق بهذه الحروف التي كان العرب يعرفونها وينطقونها ويؤلفون منها كلامهم فقد تضمن من الأحكام والشرائع والأخبار ما أعجزهم وجعلهم يقفون مبهورين أمام محتواه وبلاغته وعقب عليها بـ (ذلك) وهو اسم إشارة إلى الكتاب أي الْقُرْآنَ الكريم والإشارة هنا دالة على التعظيم من شأن الكتاب (وهو هنا القرآن وقيل التوراة والإنجيل وقيل اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن)[16].

وقد تكون الإشارة إلى البعيد (ذلك) دالة على عمق غوره وقوة معانيه وبعد مداليله، بحيث لا يمكن أن تصل العقول إلى فهم حقائقه وصبر أغواره مهما أوتيت من المعرفة وإنما أنصِبَتها منه متفاوتة وأقساطها في الفهم مختلفة.

وهذا لا يعني أن القرآن الكريم منغلق الفهم بعيد عن العقول، وإنما لكونه معجزا، فمهما اختلفت في فهمه العقول فهي آخذة منه بقسط ومتصلة به بسبب، بعيدة عن الإحاطة به، لذلك قال تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[17] وقد تكون دلالة الإشارة (في ذلك) للقرب من قبيل مناداة القريب وكأنه بعيد لأن الْقُرْآنَ وقتئذ كان مستمر النزول مجيبا عن الوقائع والأحداث مشرعا للفرائض والأحكام، والعرب يومئذ يدركون معانيه على الجملة ويفهمون دلالاته وأحكامه، قال تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[18] ولقد تكررت هذه الآية في سورة (القمر) أربع مرات عقب ذكر كل أمر يدعو إلى التفكر والتبصر، أي الإيمان بالغيب الذي دلت عليه الدلائل من غير أن تشهده الأبصار أو تدركه الحواس، وقد نفى الريب عن الْقُرْآنَ الكريم كله في قوله: (ذلك الكتاب لا ريب فيه)[19] نفيا لجنس الريب كله مع تقديم ما أصله مبتدأ (لا ريب) وتأخير الخبر المحذوف (فيه) وكأن التقدير لا ريب فيه ولا في غيره من الكتب السماوية قبله من حيث الأصل فالعطف حينئذ عطف إيجاب، حكم المعطوف في حكم المعطوف عليه، ونظير ذلك قوله تعالى (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ)[20] وذلك في خمر أهل الجنة التي لا تغتال العقول

ولا تغيب الألباب ولا يملُها شاربوها كما هي الحال في خمر الدنيا، وقد تقدم الخبر (شبه جملة) على المبتدأ نكرة وكأن التقدير لا فيها غول كما هو الحال في خمر الدنيا، فتقديم الخبر على المبتدإ النكرة يفيد مفارقتها لخمر الدنيا، فلا يكون العطف عليها إلاّ سلبا، و (فيه هدى للمتقين) جملة مستأنفة في وصف الْقُرْآنَ الكريم بعدم الريب أثبت له عكس ذلك وهو الهداية، فهو هداية لمن يؤمنون به ويهتدون بهديه وهم (الذين يؤمنون بالغيب) أي يعترفون به ويثقون أنه الحق، والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير... وذلك نحو الصانع وصفاته، والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب، والوعد والوعيد وغير ذلك. [21]

وعقب على ذلك بقوله (ويقيمون الصلاة) عطفا على يؤمنون بالغيب، باعتبار الصلاة وما تضمنته من أقوال وأفعال كلها دلائل على الإيمان فهي من أمور الغيب، والإيمان بها إيمان بالغيب وتصديق لأحوال النبوة، والدلالة على الغيب في الْقُرْآنَ الكريم يستفاد من الكثير من الآي سواء بلفظ الغيب أو بما يقيده كما في قوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44))[22]. وقوله تعالى: (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102))[23] فالحادثة سبقت محمدا صلى الله عليه وسلم بزمن طويل، ومع ذلك فقد أخبره بها القرآن الكريم، وهي من الغيب ولم يرد التعبير عنها بلفظ الغيب كما نرى.

إن المتأمل في الْقُرْآنَ الكريم يجد الحديث عن الغيب يتردد كثيرا، سواء بلفظ الغيب صراحة أو بألفاظ أخرى يستفاد منها الغيب ضمنا، وذلك حسب السياقات المختلفة والمقامات المتعددة التي يعبر عنها الْقُرْآنَ الكريم، وبالخصوص في السور المكية التي تهدف غالبا إلى تربية العقيدة في النفوس وما رافق ذلك من إرشاد ووعظ تجلى في ضرب الأمثال وذكر قصص الماضين.

والملاحظ أن الْقُرْآنَ الكريم قد خلّص الفكر البشري من المعاناة الكثيرة التي واجهته أثناء البحث في ظاهرة الغيب، فقدم له حلولا عنها يقف دونها ولا يتجاوزها، إذ أن ظاهرة الغيب قد استحوذت على الفكر الإنساني منذ عصور بعيدة في القدم، ولقد حاول الإنسان أن يفسر الظواهر الغيبية تفسيرات شتى غير مستندة إلى منطق عقلاني يضبطها، لذلك جاءت معتقداته غيبية متناقضة في معظمها، ومختلفة غير مؤتلفة، وذلك تماشيا مع التطورات الزمانية وما لها من أثر في تفكيره.

ففي العصور البدائية لجأ الإنسان إلى التفسيرات الخرافية إرضاء لعواطفه وأحاسيسه هروبا من المضار وتفاؤلا بالمنافع، كما هو الشأن عند اليونان قديما إذ جعلوا لكل ظاهرة كونية

إله يعتقدون فيه جلب النفع ودفع المضرة، فهناك إله الحياة وإله الموت، وإله الرعب وغير ذلك، ومن أهم ما اشتهر من الآلهة أوديسيوس و زاس عند اليونان.

وهكذا فإن وقوف الإنسان عاجزا أمام ظاهرة الغيب هو الذي جعله يسعى إلى إيجاد أشياء في عالم الغيب يؤمن بها ويطمئن إليها باعتبارها القادرة على تعريف الأمور سواء كانت خيرا أم شرا، فتارة يستنجد بهذه القوى الغيبية على جلب النفع له أو تسليط المضار والمصائب على عدوه أو التهوين من المخاطر التي تداهمه... أما بالنسبة إلى المجتمع العربي قبل الإسلام، فقد كان العرب يتطلعون إلى معرفة الأمور الغيبية فاتخذوا لذلك الرهبان والكهان والعرافين يستنجدون بأقوالهم عند الملمات والشدائد، وهذا ما يستنبط من أخبارهم التي دوّنها الرواة في مصادر الثقافة العربية.

وكان فيهم الكثير من الخطباء والشعراء الذين تحدثوا عن أمور غيبية أو وقفوا أمامها عاجزين حائرين.. أمثال قس بن ساعدة الإيادي في قوله: (... يا أيها الناس، استمعوا واسمعوا وعوا كل من عاش مات، وكل من مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأنهار مجراة. إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، أرى الناس يمرون ولا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا؟ ثم أنشأ يقول: يقسم قس قسما بالله لا إثم فيه: إن لله تعالى دينا هو أرضى مما أنتم عليه، ثم أنشأ يقول: في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر ورأيت قومي نحوها يمضي الأكابر والأصاغر أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر.)[24].

وكذلك الشعراء أمثال: طرفة بن العبد[25] الذي تحدث عن الموت في معلقته.

أرى اَلموت يَعْتامُ الكِرَامَ ويَصْطفي *** عَقِيَلةَ مَالِ الْفَاحِشِ اُلمتَشَدِّدِ

أرَى الْعَيْشَ كنزاً ناقصاً كلّ ليْلَةٍ *** وَمَا تَنْقُصِ الأَيَّامُ وَالدّهرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إِنّ اَلموتَ مَا أَخْطأَ الْفَتى *** لَكَالطِّوَلِ اُلمرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ[26]

وزهير بن أبي سلمى[27] في بعض حكمه المتعلقة بالغيب.

فَلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما فِي نُفُوسِكمْ *** لِيَخْفَى ومَهْما يُكْتمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ *** لِيَوْمِ الحِسابِ أَوْ يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

والشاعر أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم كاد أن يسلم[28] ومن دلائل الاعتقاد بالغيب كذلك اتخاذهم بعض الظواهر الكونية آلهة يعبدونها كالشمس والقمر والنجوم والأصنام وغيرها، وقد حكى الْقُرْآنَ عنهم ذلك صراحة كما في قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4).. إلى قوله: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ

الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى...)[29] إذ أقسم الله تعالى بالنجم حالة هويّه على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يوحى إليه، وفي ذلك دلالة ضمنية مفادها أن هذا النجم الذي تعبدونه وتتخذونه دليلا لكم في السير ليلا (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[30] يعتريه الفناء والزوال أما الله تعالى فحي لا يموت (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)[31] وكذلك الشمس في قوله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)[32] وفي هذا الحوار اللطيف الذي أجراه الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام مع قومه حكمة بالغة وعبرة جليلة مفادها أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أراد أن يبين لقومه أنهم على باطل في اعتقادهم، لذلك جاراهم ظاهرا في هذا الاعتقاد الباطل ليدرجهم بلطف نحو الاعتقاد الصحيح فبين لهم أن المعبود لا يأفل.

وأمام هذه الحيرة العارمة التي اجتاحت البشرية على مر العصور، وتاقت إلى تفسيرها أفكار المفكرين والفلاسفة جاء الْقُرْآنَ الكريم بالقول الفصل الذي لا يقبل تأويلا، وهو أن الغيب المطلق علم استأثر الله به دون عباده، وحتى الأنبياء عليهم السلام فإنهم لا يدركون الغيب، وإنما يتلقونه تلقيا عن طريق الوحي، لذلك يقول ابن خلدون[33] "قال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإني لا أعلم إلاّ ما علمني الله)[34] واعلم أنّ خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته صدق"[35].

أما الكتب السماوية التي سبقت الإسلام فقد جاء فيها الحديث عن الغيب بصفة عامة، حديث عن الجنة والنار، والجزاء والعقاب من غير ضبط ولا تحديد، أما الْقُرْآنَ الكريم فقد تضمن الكثير من الآيات التي تتحدث عن الغيب وتضرب الأمثلة للناس، وتقطع الطرق أمام مدعي الغيب، فليس في مقدور مخلوق أن يطلع على الغيب أو يجرؤ على تحويل الأسباب والتأثير في مجريات الأحداث (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو..)[36] كما أن الْقُرْآنَ الكريم ذكر أمورا من الغيب محددة في الآية وهي (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34))[37] ويتفرع عن هذه الأشياء المذكورة في الآيات أمور أخرى متصلة بها وجارية مجراها:

فعلم الساعة متصل بالقضاء والقدر وتسيير شؤون الكون وربط الأسباب بالمسببات وليس في مقدور مخلوق أن يغير من ذلك شيئا، وأما إنزال الغيب فمتصل بتقدير الأرزاق والأقوات والغنى والفقر وما إلى ذلك، وكذلك علم ما في الأرحام منه تقدير الذرية للإنسان ذكورا أو إناثا، صالحين أو طالحين، لذلك رأى علماء الإسلام أن من ادعى علم الغيب فقد

أرتكب إحدى الكبائر التي لا تغتفر إلاّ بتجديد التوبة والعودة إلى الله تعالى، لأن ادعاء الغيب خارج عن حدود البشر، وهو اعتداء و تجاوز قد يؤدي إلى العجب والغرور والعناد، لذلك قال القرطبي في تفسير قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب...): "قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلاّ من اصطفى من عباده، فمن قال: أنه ينزل الغيث غدا، وجزم فهو كافر أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال: أنه يعلم ما في الرحم فهو كافر... إلى أن قال: .. أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون، فلا ريب في كفره أيضا"[38].

أمّا ما وصلت إليه الأبحاث العلمية من حقائق لم تكن موجودة أمام الحس والمشاهدة فليست من قبيل ادعاء الغيب.

لقد رافقت فكرة الإعجاز في القرآن الكريم نزول أول آية على المصطفى صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[39]

لقد بينت هذه الآيات ثقل الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم فهو لم يكن يعرف قبلها القراءة ولا الكتابة ولا التعليم... لذلك تلقى هذه الآيات في وجل وخوف لشدة وقعها على سمعه وقلبه (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) فهو النبي المهيأ لتلقي الوحي من علاّم الغيوب وهي في حقيقتها غيب، بل هي كل الغيب لأنها تأمر بالإيمان بالله تبارك وتعالى والاستعانة به في سائر الأعمال، فهو الذي خلق الإنسان وعلمه ما لم يعلم والوجوه المتعلقة بالإعجاز في الْقُرْآنَ الكريم منها ما يرجع إلى طبيعة الجملة العربية التي خرجت عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، بحيث أصبح لها أسلوب خاص في النص القرآني تتميز به عن نظيرتها في الكلام العربي الفصيح، وذلك أن الجملة القرآنية لها وقع خاص وطريقة معينة في النظم والسبك، فالكلمات في الآية يأخذ بعضها بطرف بعض لا انفصام بين أجزائها ولا تفاوت بين أطرافها، والكلام البليغ مهما علت درجته وتألقت همته بأسباب البيان فإنه لا محالة تعتريه الهفوات والسقطات وتطرأ عليه الهنات والغلطات، والقرآن منزه عن ذلك، متعال في جميع أطرافه لذلك قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) و منها ما يتعلق بالمحتوى

فالقرآن معجز في محتواه أيضا، بل إن إعجازه الموضوعي هو المعول عليه، وذلك لأن الفصاحة والبلاغة ارتبطتا بزمن معين محدود بفترة العصر الجاهلي وصدر الإسلام تقريبا، وأما الإعجاز المتصل بالمضمون فباق على مر العصور واختلاف الأحوال ومن هذا النوع الإعجاز المتصل بما أخبر به القرآن الكريم من الأمور الغيبية، بل لقد جعل القرآن الكريم الإيمان بالغيب أساس الإيمان بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ

لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) فالإيمان كله مبدأه الإيمان بالغيب، بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره... وعطف عليه بإقامة الصلاة، لأن الصلاة قائمة على أساس الغيب أي على التلفظ بما يدل على التوحيد والاعتقاد في الله بأنه الواحد الأحد الأكبر.

ولقد حصر الباقلاني الوجوه التي ثبت بها الإعجاز في ثلاثة أوجه:

-الوجه الأول: يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه...

-الوجه الثاني: ويتضمن الإخبار عن أحوال الأزمنة المتقدمة منذ آدم عليه السلام وابتداء خلقه ثم قصص الأنبياء من بعده وكبريات الأحداث التي وقعت لهم مع أقوامهم ولم يكن ذلك معروفا لدى العربي في الفترة التي نزل فيها القرآن الكريم، ولا كان محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ويدرس قبل نزول الوحي عليه، لذلك قال الله تعالى (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ).

-الوجه الثالث: أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يُعلَمُ عجزُ الخلق عنه...

والملاحظ أن علماءنا القدماء الذين تحدثوا عن الإعجاز في الْقُرْآنَ الكريم لم يكونوا يريدون فقط الجانب البلاغي منه كما هو الحكم عليهم شائع عندنا اليوم وإن كان هذا الجانب البلاغي اللغوي هو الذي انسلكت فيه أغلب رسائلهم وآرائهم، ولكنهم في الراجح اتخذوا البلاغة عنوانا لسائر أوجه الإعجاز الأخرى سواء ما اتصل منها بالأمور الغيبية الماضية منها والآتية كأخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء، أو ما سيأتي من حساب وجزاء في الدار الآخرة أو ما اتصّل منها بالتشريعات وإقامة الحدود وتنظيم المجتمعات وغيرها... فالبحوث في مجال الإعجاز البلاغي اتخذت آفاقا واسعة لترسم معالم حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية القائمة على قدسية النص القرآني و اتخاذه عنوانا للنشاط الفكري العربي الإسلامي، لأن الفكر العربي قبل الإسلام كان يدور نشاطه في مجال محدود رسمته له جملة من العادات والتقاليد الجاهلية ولقد تمثل ذلك في أنماط من السلوك اليومي يتبع قوالب جاهزة لا يتعداها.

أما الفكر العربي في ظل الإسلام فقد أصبح فكرا خلاّقا باحثا مفكرا، له أسس يرتكز عليها وينطلق منها، أعلى هذه الأسس هي الإيمان بوحدانية الله تبارك وتعالى وبمتطلبات هذا الإيمان ويكاد عبد القاهر الجرجاني[40] يقترب من هذه الحقائق التي عبّر عنها الباحثون في الإعجاز، يقول: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهمّ في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كلّ مثل ومساق

كلّ خبر وصورة كلّ عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كلّ حجة وبرهان، وصفة وتبيان... بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاما والتئاما واتفاقا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حكّ بيافوخه السماء – موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول وخلدت القروم فلم تملك أن تصول...)[41].

هذا ما استخلصه عبد القاهر الجرجاني من تأملاته في القرآن الكريم.

فالبلاغة إنما هي وجه من الوجوه التي يحصل بها الإعجاز والأداة التي صيغت بها محتويات القرآن الكريم، سواء تعلقت تلك المحتويات بالأحكام والشرائع أو بالمواعظ والعبر أو بأخبار الآخرة ووصف مشاهدها من نعيم أو جحيم في كل ذلك إخبار عن غيوب ما كان الإنسان يدريها ولا يسمع عنها شيئا لولا هذا القرآن العظيم، من هنا فإنه يمكننا أن نقسم ما جاء في القرآن الكريم من كلام عن الغيوب إلى ثلاثة أقسام:

1. قسم لا يعلمه إلا الله كقيام الساعة والبعث وكيفية الخلق والقضاء والقدر والحكمة من العبادات قولا وعملا وكذا الحكمة من تحديد أوقاتها، ومهما اجتهد العلماء في ذلك فإنهم ولاشك لا يعلمون إلا قليلا منها، لذلك قال ابن جني[42] وهو يتحدث عن علل الفقه "وليس كذلك حديث علل الفقه، وذلك إنها إنما هي أعلام وأمارات لوقوع الأحكام، ووجوه الحكمة فيها خفية عنّا غير بادية الصفحة لنا، ألا ترى أن ترتيب مناسك الحج وفرائض الطهور وغير ذلك إنما يرجع في وجوبه إلى ورود الأمر بعمله... "[43]

2. وقسم من الغيوب قرّبه القرآن الكريم إلى أفهام العباد بأوصاف مشابهة لنظائره في الدنيا كأوصاف الجنة والنار والحساب والعقاب وأحوال المؤمنين ومهاوي المشركين، ولقد حاول علماء التفسير قديما وحديثا أن يقربوا هذه المعاني إلى أذهان الناس مستعينين بالصور البيانية التي صيغت بها تلك المعاني والمضامين، مثلما فعل الزمخشري قديما، والشعراوي وسيد قطب وبكري شيخ أمين حديثا، الذي يتوقف عنه قوله تعالى: (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12)[44] فيقول: "إنّ من يغتاب الآخرين كمن يأتي إلى ميت خنزت روائحه، وامتلأ بالدود لحمه، وسالت منه الأقذار من كل ثغرة وفتحة في جسده، فاقتلع منه جانبا، وراح يقتطع من لحمه قطعا فينهشها ثم يعلكها وطبيعي أن حيوانا يأنف من هذه القاذورات، فكيف بالإنسان الذي كرّمه الله وأعلا مكانه، وما المغتاب إلاّ كناهش لحوم الموتى.. "[45]. فانظر إلى بشاعة هذه الصورة، وكيف صوّرها القرآن الكريم تصويرا بليغا يوفي بالمعنى المقصود، وهو بشاعة فعل الفتنة وسوء عاقبة المغتاب، وقد جاءت في صيغة سؤال (أيحب أحدكم...) لا ينتظر منه الجواب لأنه يفيد النفي مسبقا، وذلك كأن تقول للرجل: أترضى أن يهينك أحد أو يُذلك وأنت تعلم مسبقا أنه لا يرضى لنفسه الإهانة أو الذّل فما الفائدة من

السؤال إذّن ؟ الجواب عن ذلك: أن هذه الآية قد تقدمها نهي الله تعالى لعباده عن أن يسخر بعضهم من بعض، أو يلمز بعضهم بعضا بما لا يرضى من الألقاب، ومن يفعل ذلك فكأنما يأكل لحم أخيه ميّتا، وما دام المرء لا يستطيع أكل لحم أخيه ميّتا لما أجمع فيه من قذارة ونتن وغيرهما، فالأولى له أن يكّف عن الغيبة، ويتقي الله، فالجزاء الذّي يناله المغتاب غائب عنّا لا ندريه ولا نعرف كيف يكون يوم القيامة، فالوجه الحقيقي غائب عنا وغير بادي الصفحة لنا، ولكن الآية الكريمة نقلت لنا هذه الصورة الغيبية إلى صورة حسيّة قريبة من أذهاننا.

وأما القسم الثالث من الغيب: فيتعلق بأمور سبقت زمان الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبر القرآن الكريم بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كما هو الشأن في قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة، ومن ذلك أمور أخبر عنها القرآن الكريم ولم تحدث بعد، ولكنها حدثت فعلا، وبكل هذه الأقسام حصل التحدي والإعجاز في أسلوب بليغ لا يضاهى وطريقة من الرصف والسبك لا تقارن بغيرها من أساليب العرب يومئذ، فانظر إلى قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6))[46] توالت هذه الآيات في نسق من التعبير عجيب في أسلوبه وبلاغته، تشابهت فواصلها بحيث يمتد معها النفس صاعدا صعود معانيها وتواصلها، ثم أنها احتوت على معان (عظيمة) لها علاقة بما كان يدور في تلك البيئة الجاهلية، ولقد كان المعاندون من المشركين، كلما نزل شيء من القرآن ازدادوا عنادا وطغيانا، وأخذتهم العزة بالإثم، وتعالوا وتكبروا، وادعوا أنهم قادرون على أن يأتوا بمثله، ولكنهم في الحقيقة لم يستطيعوا ولو أنهم قدروا على ذلك ما قصروا ولما توانوا حتى أقيمت عليهم الحجة لذلك قالوا: (قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31)..)[47]وهذا دليل على عجزهم (ولذلك أورده الله مورد تقريعهم، لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز، والضمان إلى الوفاء، فلما لم يفعلوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم عنه علم عجزهم، إذ لو كانوا قادرين على ذلك لم يقتصروا على الدعوى فقط)[48].

وآيات النجم السابقة جاءت في سياق من القسم بل السورة كلها ابتدئت بقسم مثل عدد من السور المكية والقسم عند العرب كثير الاستعمال في كلامهم، فقد كانوا يقسمون بالعمر والسيف والرمح والفرس وغير ذلك، واستعمالات القرآن الكريم للقسم متنوعة ومتعددة فقد أقسم الله تعالى في كتابه العظيم بذاته الجليلة وبأشياء كثيرة من مخلوقات، كالجبال والشمس والقمر والنجم والليل والنّهار وغيرها، كما أقسم مرة واحدة بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72))[49]

ولفظ القسّم مأخوذ من القسامة وهي الجماعة يحلفون على الشيء ويأخذونه لذلك يقال: حكم القاضي بالقسامة أي بالأيمان[50]. و لعلّ حاجة العرب إلى تأكيد مخاطباتهم بعضهم بعضا هي التي دعت إلى إيجاد هذا النوع من الأساليب في كلامهم لأن القسّم يفيد التوكيد والاطمئنان، ومعناه ما تعلق بالهمّة وصدق العزم، والذي لا يصدق في قسمه ليس له عهد ولا ذمة ولا مروءة وفي آيات النجم السابقة أقسم الله تعالى بالنّجم حالة هويه على نفي الضلال والغواية عن رسوله الكريم، ثمّ عطف عليه بنفي الخطأ والهوى عنه في قوله الذّي هو الوحي المنزّل عليه وليس له فيه أيّ تصرف أو تبديل أو تغيير، وإنما ينطق به مثلما أوحى إليه به، والملاحظ أنّ المقسم به في هذه الآيات وهو (النجم)، ممّا يصيبه الزّوال والاضمحلال والفناء، وفي ذلك إشارة ضمنيّة إلى أنّ كلّ معبود غير الله زائل لا محالة، والمعبود الذي لا يزول ولا يحول ولا يؤثر فيه شيء هو الله تعالى الذي ليس كمثله شيء، ولقد كانت الأقوام قديما تتّخذ معبودات كثيرة كلّها مخلوقة وليست خالقة، ومنهم العرب قبل الإسلام فقد كان منهم من يعبد بعض هذه الأشياء ومنها النجوم لذلك يبيّن الله تعالى في هذه السورة أنّ هذا المعبود (النجم) زائل لا محالة أمّا هذا الوحي الذي يأتي إلى النبّي صلى الله عليه وسلم، فهو الحّق الذي نزّله الحقّ، ليحقّ به الحّق في الاعتقادات والعبادات والمعاملات كما جاء ذلك كلّه في القرآن الكريم و فصّلته السّنة النبويّة الشريفة، والمقسم به في الآية السابقة (النجم) يحتمل دلالات عدّة وعظات شتى منها:

1-أن الله تعالى أقسم بالنجم باعتباره آية كونّية عظمى، وفي ذلك دعوة للإنسان إلى التدبّر والتفكير في خلق الله تعالى عموما ومن ذلك ما ورد واضحا مباشرا في الكثير من الآي من مثل قوله تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)...)[51] وقوله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[52]، و قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...)[53]

فالقسم إذن في هذا الموضع وغيره يدعو إلى التأمل والتبصّر في هذه الأشياء المقسم بها والتي كان يراها الإنسان ولا يفكر فيها، وفي كيفياتها وحركاتها، ومنافعها أو مضارّها لأنه ألفها بمرور الزّمان، وها هو ذا القرآن الكريم يدعوه إلى تأملها تأمّلا واعيا يقوده إلى الإيمان بالخالق.

2- و أنّ القسم بالنجم هنا حالة كونه يهوي لدليل عند العاقل على أنّ الذي يستحق العبادة لا يعتريه الهوى و الزّوال، و ما دام هذا النّجم ممّن يعتريه الفناء، فلا يعقل أن يعبد، إذ كيف يزول المعبود و يخلق بعده من عبدوه بدون إله.

3- و هناك دلالات بعيدة يمكن استنباطها من خلال هذا السياق القرآني العجيب وهي أنّ ظهور الإسلام و نزول الوحي على محمّد صلى الله عليه وسلم تضاءل أمامه كلّ اعتقاد فاسد

لقوله تعالى: ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)[54] و في كلّ ما سبق يثبت الإعجاز للقرآن الكريم في نظمه و محتواه، وتستقيم له الحجّة ويتضّح الدليل أمام العاقل، فلقد أثبت القرآن الكريم الزّوال إلى كلّ اعتقاد فاسد غير مبني على التوحيد، والحق للقرآن الكريم، فالمعبود المقدّس الذي لا يزول هو الله تعالى، ثمّ إنّ هذا الإعجاز البلاغي ينتظم في القرآن كلّه من أوّله إلى خاتمته في ألفاظه وتركيبه ومعانيه ومضامينه، فانظر إلى قوله تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7))[55] فانظر إلى هذا النسج العجيب، وهذا الوصف البديع، الذي يبهر العقول، ويحرّك الألباب، ويوقظ الضمائر إلى تأمل هذه المضامين الغيبيّة التي ورد الإخبار عنها في هذه الآيات، ونستطيع أن نميّز هنا المقارنة بين ظاهرتين إحداهما محسوسة ملموسة، والأخرى غيبيّة لا تدركها العقول ولا تتوصل إليها الأفهام ونحن أمام ظاهرتين معا عاجزين عن معرفة كيفية الحدوث والأسباب فكلاهما متصل اتصالا وثيقا بالغيب الذي هو بيد الله تعالى.

مراجع البحث وإحالاته:

---

1 . سورة الحشر الآية 22.

2 . سورة البقرة الآية 03.

3 . أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت دار المعرفة، (د ت)، ج1، ص367.

4 . سورة الحشر الآية 18.

5 . سورة الحشر الآية 19

6 . سورة الحشر الآية 20

7 . سورة الحشر الآية 22

8 . سورة الحشر الآية 01.

9 . سورة الحشر الآية 24.

10 . جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، و جلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، بيروت، دار الفكر، (2004/1424) ط/3 ص545.

11 . سورة الحشر الآية 24.

12 . سورة الحشر الآية 02.

13 . سورة البقرة الآيات 01 و 02 و03.

14 . هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار

الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. أشهر كتبه (الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل والمقامات والفائق أنظر خير الدين الزركلي الأعلام قاموس تراجم، بيروت، دار العلم بالملايين، (2002/1423)، ط15، ج7، ص178.

15 . أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، رتبه: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، (1995)، ط1، ج1، ص35.

16- محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب، بيروت، لبنان، (1981/1402)، ط/03، ج 01 ص 115- 116.

17- سورة آل عمران الآية 07.

18- سورة القمر الآية 17و 22 و32 و40.

19- سورة البقرة الآية 02.

20 . سور الصافات الآية 47.

21 . الكشاف للزمخشري، م 01/ 127-128

22 . سورة آل عمران الآية 44.

23 . سورة يوسف الآية 102.

24. أبو زيد عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السُّيوطي، اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان، (د ت)، ج 01 ص 168. وأنظر دلائل النبوة لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار التكب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1995، ط/01، ج 01 ص 408.

25. طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، البكري الوائلي، أبو عمرو: شاعر، جاهلي، من الطبقة الاولى. نحو 86 - 60 ق هـ = نحو 538 - 564 م) ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر، شابا، في هجر قيل: ابن عشرين عاما، وقيل: ابن ست وعشرين. من أشهر شعره معلقته، ومطلعها: (لخولة أطلال ببرقة ثهمد) وقد شرحها كثيرون من العلماء أنظر الأعلام للزركلي ج01 ص 18

26. طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، دار الصدر، بيروت، لبنان، (1401- 1980) ص 20.

27. زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر (13 ق هـ/609 م) حكيم الشعراء في الجاهلية ولد في بلاد (مزينة) بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد) واستمر بنوه فيه بعد الاسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليات) أشهر شعره معلقته التي مطلعها: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم).

28. رواه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار بن كثير، بيروت، لبنان، (1407 – 1987)، ط/3، رقم 3553 ج 7 ص 277.

29. سورة النجم من الآية 01 إلى 23.

30. سورة النحل الآية 16.

31. سورة الرحمن الآية 27.

32. سورة الأنعام الآية 78.

33. ابن خلدون 732 - 808 هـ = 1332 - 1406 م عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزي بزي القضاة محتفظا بزي بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.

34. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د ت)، ج 20 ص 447، إلاّ أنها وردت بلفظ (وَإِنِّي وَٱللَّه لَا أَعْلَم إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ).

35. أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الصدر، بيروت، لبنان، (1421-2000) ط/1، ص 66.

36. سورة الأنعام الآية 59.

37. سورة لقمان الآية 34.

38. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عرفان العشا، دار الفكر، بيروت، لبنان، (1424-2003) ط/1، ج07، ص4.

39. سورة العلق الآية 01 – 05.

40. عبد القاهر الجرجاني (000 - 471 هـ = 000 - 1078 م) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان بين طبرسات وخراسان من كتبه أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز و الجمل في النحو، وغيرها، أنظر الأعلام للزركلي ج 04 ص 48.

41. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت (1403-1982) ص 23.

42. ابن جني (392 هـ = 1002 م) هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، له شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو 65 عاما. وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء وشرح ديوان المتنبي والمبهج في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، والمحتسب في شواذ القراءات، وسر الصناعة الأول منه في اللغة، والخصائص وغيرها أنظر الأعلام للزركلي ج 04 ص 204.

43. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (1385-1965)، ج 01 ص 48.

44. سورة الحجرات الآية 12.

45. بكري شيخ أمين، التعبير الفني في الْقُرْآنَ، دار الشروق، بيروت، (1400-1980)، ط/04، ص 293.

46. سورة النجم الآية 01- 06.

47. سورة الأنفال الآية 31.

48. الباقلاني، إعجاز الْقُرْآنَ، ص 43.

49. سورة الحجر الآية 72.
50. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، (د ت)، ط 21 ص 629.
51 سورة الغاشية الآية 17 – 20.
52. سورة الذاريات الآية 21.
53. سورة فصلت الآية 51.
54. سورة الإسراء الآية 81.
55. سورة الحج الآية 05-07.